توعية إلى"السوسيوجينوغرام"

مذكرة للتشاور رقم 1

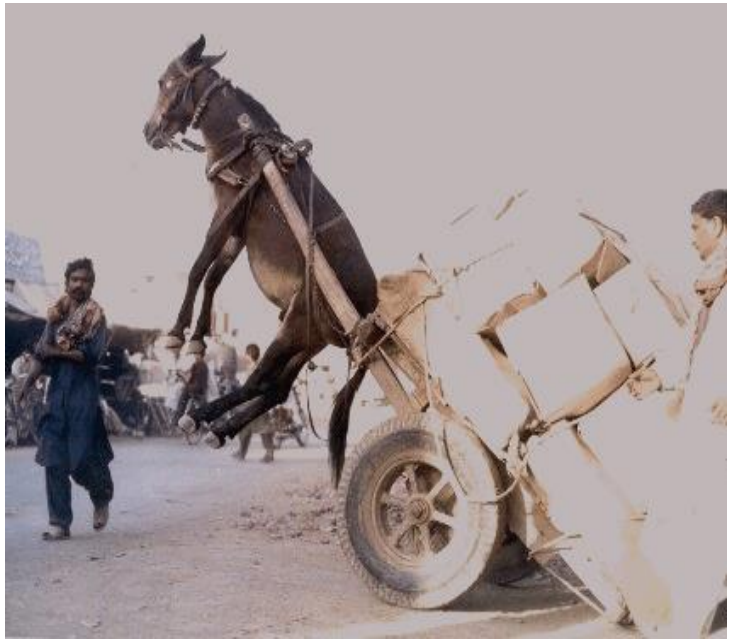

جون ماري لومير،تونيس،2010

جماعة أبحاث"عيادة التشاور"

I.L.T.F
Institut liégeois de thérapie familiale

ÉCOLE ET FAMILLE
Réseaux Ecole – Famille

Concertation Concertazione

I.F.T.C.
Institut français de hérapiecontextuelle

أقلام وحامل القلم

جون ماري لومير،طبيب نفساني ومسئول عن وحدة العيادات الخارجية في الطب العقلي،وسع ما يسمى"بعيادة التشاور"في عدد من البلدان المختلفة،بلجيكا،يوغسلاڤيا سا بقا،فرنسا،إيطاليا،الجزائر،بترجمة مفاهيم العلاج السياقي للطبيب "ناجي"لمحيطات أكبرمن العلاج العائلي.

هذا النص مستخرج من تدخل الدكتور"جون ماري لومير"في ندوة،يلخص فيها دورات في التبادل منظمة من طرف الجمعية"المدرسة و العائلة"سنة 2010 في جماعة ڤونيس،موجهة لممثلي المجال"الصحي ـ الإجتماعي ـ المربي"حول العمل داخل إطار شبكي. »موضوع،مسار الأسر في محن متعددة"مآزق و/أو دعوات إلى

المذكرات والرسائل المتشاورة تشهد عن عمل مقاد من طرف جماعة من الباحثين،في"عيادة التشاور".هدفهم ليس نموذج مكمول ولكن أن يؤخذ بعين الإعتبارفي وظيفتهم،مغيرا وغنيا تدريجيا بنشره عبر مختلف الفئات والأراضي لهذه الجماعة.

الصورة أعلاه تمثل الوضعية التي أجد فيها نفسي كطبيب نفساني موظف لدى المركز العمومي للخدمات الاجتماعية لجماعة "فلمال"في ضواحي مدينة "لييج":وضعية الحمار المربوط في عربة مليئة و مكتظة.

هذا المركز هو من أنذر المراكز الذي يظل مفتوحا 24 ساعة على 24 ساعة،حسب قرارالعمدة:"البأس لا ينتهي لاعلى الساعة الخامسة مساءاً ولا عند نهاية الأسبوع."لذلك يوجد هناك قسم للديمومة الذي يلجأ إليه الأشخاص في حالة طوارئ(حريق،عنف عائلي،أطفال خطر).صورة الحمار تمثل ما قد يحدث لنا في يوم جمعة على الساعة الخامسة مساءاً،عندما تأتينا أم في حالة غضب عشية نهاية أسبوع في فصل الشتاء،تطلب منا حليب مسحوق،حفاظات وبطانية لطفلها الرضيع وتخبرنا بأن الأب،في حالة سكرينتظرها في مرأب السيارات للقسم مع نوايا عنيفة اتجاهها.إذن كالحمار،نشعر بأننا بدون سند،في حيرة كبيرة مقارنة مع ما تعلمنا من أدوات خلال التدريب الأساسي لوظيفتنا.مع أنه يتوفر عندكم وعندنا وجود أنظمة ومجالات محددة للتدخل،تنسيق الإجراأت .....إلاأن تراكم التفعيلات ليس منظم،ولاتدريجي،يأخذنا بغفلة ويغمرنا كالفيضان....الحمارلم يستعد لهذا التأرجح الناتج عن ثقل العربة الذي يفوق نقطة التوازن.

الصورة تساعد لفهم العمل المطلوب منا،بالأخص عندما تشمل حالة الطوارئ الاجتماعية،البعد الطبي والنفساني وان تكون قادرة على تفعيل شبكة مكونة من 12 قسما نفسه مكون من 25 شخصا.

الكاتبة الموظفة في قسمنا تكون أحيانا مفعلة من طرف السلطات،أومن معينة صيدلية تطلب منها،هل بإمكان الشخص الموجود أمامها أن يأخذ دواء ا ما،فتجد نفسها مقيدة بطلبات لا تدخل ضمن اختصاصها ولا قدراتها المهنية.

ضبطنا عملنا مع التفعيلات بدل العكس، واعتبرنا أن جوابنا لهذه التفعيلات لا يستطيع أن يختصر على فرض طلبات من الأشخاص المفعلين،لتكون أكثر تطابقا مع ما نستطيع أن نقترحه من

عطاء.

- مع أن اللقاء الأول قد يعطي الشعور على الإستقرارفي الشذوذ(أطوار غريبة)،إلا أننا نعتبره كدعوة إلى إعتبارهذه الوضعية المقلقة بشكل آخر.

التأرجح يضعنا في مواقف مقلقة وحرجة،مؤلمة ومتعبة،التي لا تدخل في إطار تحليل الطلب الذي درس لي خلال تعليمي في طب النفس.

ضبط عملنا حسب تفعيلات الأسر

الأسرة التي لا تأتي إلى موعدها للقائنا،ستتطلب منا مجهودا أكبر من الأسرة التي تأتي،التفعيل الناتج عن الغياب سيكون أكثر أهمية من الحضور.

لو أردنا تحويل التفعيلات المقلقة لدى العمال الاجتماعيين في مركز"فلمال"،إلى طلبات مطابقة لما نعرضه،فسنكون مضطرين إلى تزوير الطلب(الكشف عن الطلب الحقيقي،الطلب المخفي والطلب الغافل) حتى أن الشخص الناتج عنه هذا التفعيل لن يدرك هذا الطلب كأنه طلبه. لهذا اتفقنا على أن نتعدى من تحليل الطلبات إلى تحليل التفعيلات؛بدل أن نتساءل "من يطلب ماذا إلى من ومن أجل من؟"من الآن سوف نسأل أنفسنا:"بمن،بماذا،ولأجل من أنا مفعل؟".أول رد فعل للتخفيف من فائض العبئ الذي نعاني منه،سيكون فرز التكاليف،ونزع شيئا من الصناديق من العربة....،ولكن يوم الجمعة على الساعة الخامسة مساء،لايمكن أن نتعدى "المشكل الحقيقي"،ولانأخذ بعين الإعتبار،الحفاظات،مسحوق الحليب والزوج....وأيضا الغسالة المعطلة،والمراهق الموجود عند السلطات وغياب الأكل،يستحيل....

هكذا يبدأ عملنا العلاجي الشبكي: الأخذ بعين الإعتبارالتفعيلات الغريبة والمعقدة التي تحتاج إلى التسامح والتحمل بتخطي الحدود،تخطي مجالات القدرات المعينة،وبقبول أن يتسلل اختصاصيين آخرين و أن تتسلل قدرات أخرى إلى حلبة السباق والعكس أيضا من أجل أن نعمل معا. هذه الطريقة تقود إلى مواقف معقدة.

التفعيل المتوحش ومساهمة وفد ضخم في حالة طوارئ، لا تأتي دائما من أفراد الأسر،ولكن ربما تأتي من أحد أعضاء المدرسة،موظفة اجتماعية أو قسم الضحايا، هو نفسه مفعل من شخص أو فرد من الأسرة في حالة رعب بأشكال متعددة .

أمام تعقد هذه العناصر وارتباطاتهم العشوائية،بنينا نظام تصويري للممثلين والعلاقات التي تربط فيما بينهم:"السوسيوجينوغرام"الذي يسمح لنا،حين تواجدنا في وضعية محرجة،أن لا نبقى مكتوفي الأيدي مع العلم انه لا يوجد حل فوري للمشاكل المتراكمة.

بعض الوسائل المرجعية أصبحت مألوفة لذى الأشخاص الذين يعرفون العلاج العائلي.الجينوغرام صورة بنائية وقانونية لأسرة والروابط العائلية بصفة بدائية من جيل إلى جيل،صممه خلال السبعينات "كْركْوري باتسن"في مدرسة" بالوآلطو"،وتم ضبطه منذ سنة 1980كأداة للعلاج العائلي من طرف "إڤلين لوميرأرنو".أما السوسيوغرام فصممه واستعمله منذ سنة 1933،الطبيب النفساني"جكوب ليڤي مرينو"،الذي يعتبر من أوائل المهتمين بالعلاج الجماعي،هذا النظام عبارة عن رسم بياني يدل على الروابط الإجتماعية التي يبنيها الفرد على السطح الشخصي،الإرتباطي و الوظيفي.

أما فيما يخص السوسيوجينوغرام فهو يجمع فيما بين الجينوغرام العائلي والسوسيوغرام ويشرك استعمالهما.ويقترح أيضا قانون بالألوان لتسهيل قراءة ما نمثله،ويلفت انتباهنا إلى مواضيع طبوغرافية ويزن مخاطر الوقوع في بسكلوجيا قد تكون في غالب الأمر جد سريعة،والتي نخوض فيها للبحث عن الدوافع العميقة،المخفية والأرباح الأساسية والثانوية والتي يمكن أن نسجن فيها.

السوسيوجينوغرام عبارة عن مخربشات،ومع أنه يوجد مفتاح قانوني لفهمه فإنه لا يقول شيئا كثيرا عند أول نظرة. نحن نبني"من فرد إلى فرد"مسار التفعيلات الذي يحدد حتما أفراد الأسر إلى منبع "العمل العلاجي الشبكي". لذا، المراد بهذا ليس أن نضع الأشخاص في مكان الموضوع والفاعل(هذاسيدل بطريقةغيرمباشرة أننا تولينا على مكانتهم)،ولكن لترسيخ،لمواجهة وتأكيد مكانتهم التي هم دائما عليها:أن نكون المفعلين لشبكات الإعانة،العناية،التربية والمراقبة التي تبنى معهم.

تذكرة القانون:

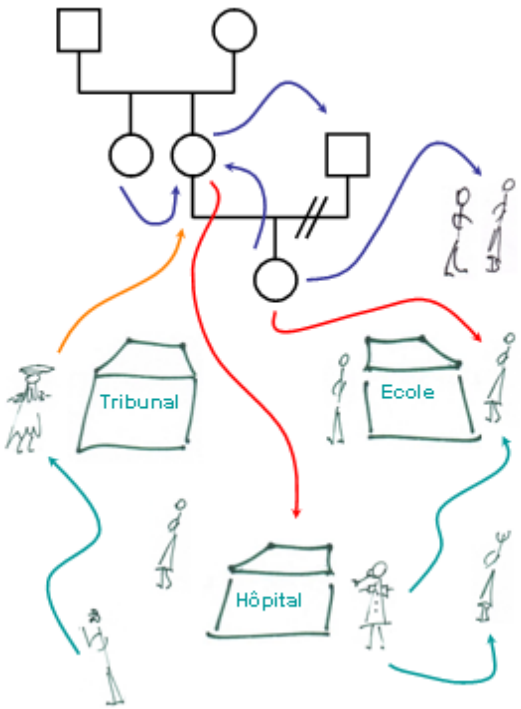

ـ المنازل الخضراء تمثل:الإدارات،الجمعيات،الأقسام("الذين يعملون مع بعض).
ـ الأشخاص بالأخضر: أعضاء الإعانة،الصحة،العناية والمراقبة،("الذين أحيانا،دون المعرفة،يعملون معا").
ـ جينوغرام الأسرة والأشخاص بالأسود:"الذين يعيشون معا".

أسهم لتمثيل مسار التفعيلات:

ـ أسهم زرقاء لتمثيل التفعيلات فيما بين"الذين يعيشون مع بعض"داخل الأسرة،وأيضا الأقرباء،الجيران،الأصدقاء والمعارف...(أسود).
ـأسهم برتقالية لتمثيل التفعيلات(النصائح،الإقتراحات،التوجيهات،التكاليف...)التي تبدأ من"الذين يعملون معا"(أخضر)اتجاه الذين"يعيشون معا"(أسود).
ـأسهم حمراء لتمثيل التفعيلات(الطلبات،الإحتياجات،المطالبات،النزاعات،الضجة،....) التي تذهب من الذين"يعيشون معا"(أسود)اتجاه الذين"يعملون معا"(أخضر).
ـ أسهم خضراء لتمثيل التفعيلات(الطلبات،الإنتدابات،الوكالات،التكاليف،...) بين "الذين يعملون معا".

العمل العلاجي الشبكي يوضع تحت تأثير عاملين مهمين ومتكاملين:التنسيقي(التنظيم بين الأقسام) والتشاور(مواجهة الآراء،القيم،الممارسات بين مختلف الأقسام).

استعمال السوسيوجينوغرام يضيف عامل "قانون"وعامل"ممارسة"، ومع ذلك يبقى قبل كل شيء خربشة وبفضله نعود إلى ابتهاجات الطفولة للرسم،الخياطة،الطرز،القطارالكهربائي المصغر،.....

مثال:خلال اجتماع في رومانيا،كان من واجبنا أن نمثل الشخص الذي يلعب دور الوسيط في المدرسة، وهو من أصل قبائل الروم(قبيلة مرفوضة من سكان رومانيا).

و في هذا البلد التوثرات قد تكون جد عنيفة بين هذين الشعبين. حين تمثيل هذا الوسيط بإشارة مميزة،أقترحت أشياء غير لطيفة وملائمة في شأنه،الى أن اتفقنا أن نمثله بآلة كمان في يديه حين التحق بنا وعرف نفسه في رسمنا المخربش،قال:"يعجبني هذا، لم أكن أتوقعه".

إحدى القيم التي نعتز بها،أن نتكلم عن الغائبين كأنهم حاضرين،ولكن نستطيع أيضا أن نرسمهم كأنهم موجودين،ومن ثم نطلب منهم رأيهم في الاختيارات التي ضبطنا في شأنهم خلال غيابهم.

كان أبي طبيب نساء ومارس اختصاصه في زمن كانت فيه عديد من الولادات غير مبرمجة وتحدث في حالة طارئة. سمعته عدة مرات يجيب على اتصالات مسرعة:"حالة طارئة بخمس دقائق،ليست بحالة طارئة،هذه وفاة".من الممكن أن يبدوهذاموجعا وعنيفا،لكنه كان يريد أن يوازن كثرة الضغط الغير المنتج،الذي يمكن أن يؤدي به للخضوع،إذا قبل أن يأتي فقط ليكرمن حجم الفريق الذين يظنون،بأنهم لايتحكمون في الوضعية؛بهذا جوابه كان يوازن من حالة الانفعال المكتظة. مأخوذين بتفعيلات في حالة طوارئ،إعتدنا أن نبحث عن السند فيما بقي لنا من تكويننا المهني، وبعض عناصره تستطيع بسهولة أن تكون حاجزا في جزء من وظيفتنا

التي غزت الآخرين:الوقوع في البسيكولوجيا.هذه الأخيرة تستطيع أن تدعونا بسرعة لفرزالحمولات، لتمييز الطلب المتذرع والطلب الحقيقي بطريقة واضحة.

هذه الخطوة تبقى وأنا متفق جد مثيرة،وأناألجأ إليها في مهنتي كطبيب نفساني ومعالج نفسي. ولكن حين أكون مفعل كموظف لدى قسم عمومي للإعانة،العناية،التربية والمراقبة، وأجد نفسي مثقل في وضعية الحمار،الوقوع في البسيكولوجيا يستطيع أن يظهرمقلص ومشل.

رسم التفعيلات من أجل وقوف مؤقت لفهم الوضعية

السوسيوجينوغرام يسمح بأخذ المعلومات تحت شكل رسم،وهو ينتج انتباه مختلف عن الوقوع في البسيكلوجيا.خلال بضع دقائق،وهو الوقت اللازم لتكوينه لونحن معتادين،السوسيوجينوغرام يكشف كما مهما من المعلومات التي يعيد توزيعها داخل زخارف أرابيسك مثيرة للدهشة،ويسمح بتأطيرالحوادث وتأكيد مسار التفعيلات التي نمثلها. من خلال إحدى الكتل المناقدة،السوسيوجينوغرام يكشف عن تغييرات غير منتظرة.لوتم تمثيله عند حضور الأسرة،يصبح شيئا انتقالي ملفت للانتباه حتى أنه يغيره،ومن ثم سنهتم أكثر بالرسم بدل الحالة الطارئة وهذا الالتفاف يمكن أن يبدو كإبداع.كلما صعدنا في السيولة والليونة،كلما أخذت التفاصيل مكانها كلما ظهرت "كموارد متبقية"التي ستساعدنا في هيكلة ما سنحاول أن ننجز معا.

في نفس الوقت الاتجاه هو البحث عن هوية الأشخاص في أصغر ما لديهم مثل الحمض ADN النووي "أضن". الآثار التي يتركها الأشخاص في النظام الشبكي ستكون قيمة وذات معنى ومغزى "كالأضن"كي تعرف مثلا فتاة عمرها 13 سنة وأمها أنهما تركتا آثارا في النظام الشبكي،بالنسبة إلي هذا له معنى.

في" أوني"في حي "مولنا ر"،كاتبة عمومية حاولت وصف الحدود بين المهنيين وغير المهنيين؛و كانت مثل الموظفين الاجتماعيين للمركز العمومي للخدمة الاجتماعية مأجورة من طرف البلدية،إذن تمثيلها في الرسم سيكون بالأخضر،ولكن عندما يجتمع الموظفين الاجتماعيين للمركز العمومي من أجل لتلخيص ملف ما، كانوا يطلبون منها مغادرة الاجتماع لأنه لا يسمح لها أن تتقاسم معهم "السر الوظيفي"،إذن تمثيلها سيكون باللون الأسود. من ناحيتها،كانت تجد جوابا واقعيا:"كانت تقول لا يهم ما سيقولونه، أنا أعرفه منذ زمن طويل،قبل أن أذهب لألقاهم، كان أفراد الأسر يأتون دائما إلي ليطلبون مني النصيحة. » .

السوسيوجينوغرام هو إحدى أدوات العمل العلاجي الشبكي،عمل الذي يمحو ملكية محتملة للكفاءة. وهو يحمل آثار تطورالوضعيات المعقدة والصعبة،التي أصبحت ممكنة بفضل عمل"بعدة أيدي » السوسيوجينوغرام غالبا ما يكون معقد وثقيل. بإمكانه أن يظهر تأثيرا مقلق وغير مشجع. لاغتنام نطاقه من الضروري الإستلاء عليه برسمه.

بترجمة فاطمة الزهراء در يدي - بن عمرو

من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية سنة 2013